19me, année No 917

Le Caire 29 — 1 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ — ٢٩ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

— ٢ —

دراسة الدين والسلوك الدينى موضوع لن يطمح كاتب هذه السطور أن يستنبط له منهجا جديدا ؛ إنما هو يستوحى لذلك ما انتهجه بعض أئمة البحث الغربيين من مناهج ، وذلك لأن هذه الدراسة قصد بها التعرف على مشكلة الدين والسلوك الإنسانى فى المحيطين الأوروبى والأمريكى اللذين تفزو موجاتهما دعائم الفكر العربى فى هذه الآونة مما أوجد بين بعض المثقفين العرب اتجاها سلبيا إزاء وظيفة الدين الروحية والاجتماعية . وهذا ما يدفعنى إلى اتخاذ هذا النهج على أساس الحكمة التى تقول « من فمك أدينك »

ويجب ألا يغرب عن البال أن البحث فى وظيفة الدين الاجتماعية لا يعنى الانكباب على دراسة «اللاهوت» ؛ فاللاهوت يختص بالتعرف على التطور الفكرى والتاريخى للمذاهب الروحية ، بينما ينطوى علم الدين الاجتماعى على استعراض علاقة الغريزة الدينية بالحياة اليومية وما يعرف الآن بعلم الاجتماع الدينى

فالناحية اللاهوتية فى الدين تعالج العقيدة من حيث أنها إيمان وذلك عن طريق الدراسة لفلسفة الوجود والتعبير الدينى ممثلا فى الصلوات والعبادات . (١) وعلم الدين الاجتماعى يتطرق إلى الظواهر الاجتماعية وصلتها بالحياة الروحية . وهذا فى الواقع صلب الإشكال بين المفكرين فى الغرب وانقسام الرأى فيهم بين أنصار العقل والقيم الروحية من جهة ، وأنصار الغريزة البدائية من جهة أخرى

. ولا ريب أن العلاقة وثيقة بين اللاهوت وعلم الاجتماع الدينى ، ولكنها ليست ضرورية دائما . ويخيل إلى أن الإسلام فى بساطته ووضوح تعاليمه لا يتطلب دفاعا لاهوتيا على النحو الذى تتطلبه الأديان السماوية الأخرى

ولقد كثرت فى الآونة الأخيرة أبحاث بعض المفكرين المسلمين فى الشرق العربى عن علاقة الاسلام بالمذاهب السياسية والاقتصادية والفكرية المعاصرة. والجدل الذى أثير مؤخرا حول هذه البحوث لا يتطرق إلى صلب الدين الاسلامى ولا يجادل جوهره ومبادئه ، وإنما يطوف حول الناحية الاجتماعية فى التعاليم الاسلامية

والواقع أن هذا الظمأ إلى دراسة هذه الناحية الاجتماعية فى العقيدة الدينية قد ألم الكثير من رجال الفكر الأوربى

---

١ — راجع

H,P Boullaye L Etudes comparés des Religions
E,S Brightman A philosophy of Religion

والأمريكى الكتابة بحوث مماثلة لهذه التى صدرت مؤخراً فى العالم الاسلامى (٢)

ولكن الفارق الرئيسى بين بحوث هؤلاء الغربيين وبين معالجات المسلمين هو افتقار الأديان السماوية الأخرى إلى التعاليم الدنيوية التى تنظم الحياة الاجتماعية . هذه التعاليم التى يزخر بها القرآن الكريم والحديث الشريف واجتهاد الأئمة المسلمين . وهذا فارق يبسط دراسة الناحية الاجتماعية فى الاسلام لا على أساس من الاقتباس والاستعارة ولكن بالمقارنة وإعادة تفسير التعاليم الاسلامية وتطهيرها من الباطل الذى علق بها زوراً وبهتانا دون مساس بالعقيدة والجوهر ، وفى لغة يفهمها أهل هذا العصر

إذن فهدفنا الرئيسى هو التعرف على علاقة الدين بالظواهر الاجتماعية . ولعل فى ذلك ما يساعدنا على تفهم المغزى الجليل النفع فى السلوك الدينى ويوفر لنا أضواء نلقيها على عظمة الروحانية التى يحمل لواءها الدين والتى تواجه هذا التحدى من عناصر المجتمع العربى هذه الأيام

ويجب أن نقرر فى هذه المرحلة من الحديث أن الدين لم يمت ولن يموت ، لسبب بسيط وهو أن السلوك الدينى تعبير عن الغريزة الدينية الكامنة فى أنفسنا جميعا . والغريزة لا تموت دائماً بل تنطمر فى بعض الحالات تحت ركام من العقد النفسانية والمشاكل الدنيوية . فإذا توفر لها من يزيل عنها هذا الركام برزت صافية جلية تبعث فى الفرد وفى المجتمع الطمأنينة الحقة وهى سر السعادة والهناء فى عالم قلق مضطرب

فاتجاه بعض المفكرين إذن إلى دراسة الإسلام على ضوء علم الدين الاجتماعى هو نتيجة حتمية لموجة الاضطراب الفكرى التى تعترى بعض المسلمين من أصحاب الثقافة الغربية فى هذه الآونة ـ وبعض هؤلاء ابتعدوا عن الدين لا بدافع التحامل الأعمى أو الإلحاد ولكن لمجرد افتقار برامج التعليم إلى المواد الدينية بقسط أوفر من القسط الذى تحظى به هذه البرامج الآن ، وافتقار الحياة الفكرية كذلك إلى بحوث علمية تدرس الدين على أسس من المناهج المستحدثة

فالمشكلة إذن مشكلة جهل وليست مشكلة إلحاد ، وإن كان الجهل فى بعض الحالات يكون كفرا

ولست أدعى أبدا أن دراسة الناحية الاجتماعية فى الدين الاسلامى تغنى عن متابعة الاجتهاد فى علوم الفقه والشريعة وأصول الدين على النحو الذى تقوم به معاقل الاسلام فى الأزهر وغير الأزهر . فالحقيقة أن علم الدين الاجتماعى متمم لعلوم الفقه والشريعة وأصول الدين . فالدراسة الدينية تبرز الجوهر وتشرح التفاصيل وتفسر ما استعصى على بعض الناس فهمه من ألوان الروحانية التى يحملها الدين . والدراسة الاجتماعية للدين تشرح صلاح هذا الجوهر وهذه الروحانية لاحتضان المستجد المفيد من التفكير السياسى والاقتصادى المعاصر . والبارزة الفريدة فى الاسلام أن كلتا الناحيتين متمازجتان فى صورة متماسكة متشابكة ـ الأمر الذى يورد بعض الكتاب موارد الزلل فى معالجتهم لهذا التماسك وهذا التمازج.

والخروج من هذا الإشكال يستوجب على الباحث أمرين :

١ ـ اختيار صادق للعقيدة والإيمان وما يستتبع ذلك من طمأنينة وسمو نفسانى ونزاهة فى التفكير والقصد

٢ ـ إدراك المشاكل الاقتصادية والسياسية التى تعيش فى نفسية وجل العصر الحاضر وفى مجتمعه

وللباحث أن يدرك كذلك الفرق بين العقيدة والإيمان وفلسفة الحياة الروحية ، وبين النظرة الواقعية لمجرى الشؤون الدنيوية والسلوك الإنسانى (٣)

فليس هناك صدق علمى فيما يحلو للبعض الكتابة عنه هذه الأيام « كالاشتراكية فى الاسلام » و « الشيوعية فى الاسلام » وغير ذلك من عناوين ؛ وإنما هنالك مجال للبحث بين علاقة التعاليم الاسلامية بالمشكلة الاجتماعية أو الفكرة السياسية وماشابه

---

٢ ـ

Olive wyn The Social Teachings of the Christian churches
R. Neibuhr The Social structure of Denominalism
A, Tinani Catholocism Protestantism and Communism
A, Hyma christianity capitalism and communism

٣ ـ راجع كتاب

J. wach Sociology of Religion p. 7

ذلك من مظاهر النشاط الانسانى

فالاشتراكية والشيوعية نظم سياسية واقتصادية ، والدين عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الانسانى . والخلط بين الاثنين قصور عن فهم العقيدة وافتقار إلى اختيار الايمان وعجز عن تفهم ما انطوت عليه تلك النظم الاقتصادية من أسس قد لا تنطبق على كل مجتمع فى كل صعيد

فعلم الدين الاجتماعى لا يجوز أن يكون وسيلة لتنفيذ برنامج معين من برامج الإصلاح السياسى والاقتصادى؛ والترويج لها من مقتبسات القرآن والحديث والاجتهاد ، وإلا فقد الدين مزيته الرئيسية وأصبح كبرامج الأحزاب السياسية يتجدد ويتبدل بتبدل الأوضاع واللابسات

فقبل أن تنشأ الماركسية نشأت نظم سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تحدى بعض مروجيها العقيدة الدينية واتهموها بأنها عائق فى وجه الإصلاح . ثم اندثرت تلك النظم أو تطورت إلى نظم أخرى . وبقيت العقيدة الدينية كامنة فى قرارة السلوك الانسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب ، وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الإلهية وبالاستقرار النفسانى والاجتماعى (٤) . ويحب كاتب هذه السطور أن يذكر على سبيل المثال أنه اشترك فى جامعة كولومبيا فى نيويورك فى السنة الماضية فى حلقة دراسية عالجت تطور التفكير فى أمريكا فى فترة ما بعد الحرب فتبين لأعضاء الحلقة أن الكتب الدينية هى من أكثر المنشورات رواجا فى عالم ما بعد الحروب — رواجا أثبتته إحصاءات الكتب الرائجة التى تنشرها الصحافة الأمريكية بانتظام (٥)

فالنظم السياسية والاقتصادية كالماركسية مثلا أسلوب فى الحياة يستمد مبادئه من الظواهر الاجتماعية وهذه الظواهر تتأثر بالظروف والأوضاع المتقلبة بينما الدين غريزة متأصلة فى قرارة النفس كغريزة الأكل واللعب . قد يأتى عليها حين ترسب خلاله إلى الحضيض لفترة قصيرة، ولكن لا مفر لها من أن تجد سبيلها إلى الشعور الواعى فى الأحيان الكثيرة

على أن هناك أموراً أخرى لا مفر من إقرارها ما دمنا بصدد الكلام عن منهج البحث منها :

١ — إدراك الباحث والقارئ معا واعترافهما بحقيقة الاختبار الدينى وقوة الإيمان والمتعة الروحية والتطور التاريخى الذى صاحب ولا يزال يصاحب التعبير عن هذا الاختبار وعن هذه المتعة . وهذا الاختبار إن كان يتنوع فى وسائل روحانياته بين مختلف الأديان السماوية إلا أنه اختبار على كل حال يشترك فيه كل مؤمن

والتنوع فى اختبار المتعة الروحية يستند أولا : إلى الاختلاف فى جوهر العقيدة (كما هو الحال بين الإسلام والبرهمانية مثلا حيث يجد بعض البرهمانيين المتعة فى إيلام الجسد) . وتستند ثانيا : إلى اختلاف التطور الفكرى بين الشعوب وطبيعة أوضاعها التاريخية والجغرافية والحضرية . فإذا كان المسيحى الصادق فى أمريكا مثلا يخرج من صلاة الأحد طاهر القلب صافى الذمة ليذهب ويلعب ويعاقر الكأس وهو فى حل من الإثم والمعصية فإن المسلم لا يصح له ذلك ، فاختبار السلم لروحانية الدين تنفى كل ذلك . والتطور التاريخى والفكرى فى أمريكا أصبح يحول بين المتعة الروحية فى الكنيسة وصفاء نفس المؤمن صفاء صادقا وبين انعكافه وهو فى هذا الصفاء على احتساء كأس من الخمر والتسلى بلعب الورق (٦)

ومثل هذا تنوع جوهرى لا يفطن له الذين يعالجون الناحية الاجتماعية فى الاسلام على ضوء ما استوحوه من التفكير الغربى ولعل ذلك يفسر التباس الأمر عليهم فى بعض أوجه العلاقة بين

---

٤ — راجع كتاب
L. I. Bernard, The Field and Method of Sociology of Religion

٥ — مثال ذلك كتب :
فى طبعته الخامسة عشر Mgr. Sheehan, peace of Soul
فى طبعته العاشرة Overstreet The Mature Mind
فى طبعته السادسة Leiberman, peace of Mind
١٠ ، ٣٦٠

5-Max weber, protestant Ethics and the Rise of capitalism

٦ — ... من الكتب الغزيرة التى عالجت العلاقة بين الروحانية الدينية والنشاط العملى كتاب ماكس ويبر
وكذلك كتاب
J. Dorfman, The pragmatic Mind in American Civilizatio